مقدمة

يقول الله – تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

وإذا كان العلم والتعلم قد صاحب الإنسان منذ خلقه وقد وهبه الله إياه لكي يكون دعمًا له على الحياة، وقد فضله الله به على سائر خلقه، واستحق به سجود الملائكة له، فإن هذا يعني أهمية هذه الهبة الربانية للإنسان، ومقتضى شكر هذه النعمة دوام العمل للاستفادة بها في تعمير الأرض وحمل أمانتها.

ولذلك فإن العلم يحتاج دائمًا إلى الجهد البشري المتواصل وهو يتطور بتطور الإمكانيات البشرية في السيطرة على الطبيعة والتحكم في ظواهرها، وخاصة أن الله –سبحانه وتعالى– قد سخرها للإنسان وأعطاه إمكانيات هذه السيطرة.

ومع تعدد الظواهر الطبيعية وتنوعها تعددت مجالات العلم وتفرعت إلى العديد من التخصصات، ومن هذه التخصصات ما يختص بالطبيعة الإنسانية وعلاقة الإنسان بغيره من البشر، وتتطور هذه العلاقة بالعلاقة بين الرجل والمرأة والتي تكون من خلالها أول لبنة للمجتمع وهو مجتمع الأسرة وما تفرع عنه من مجتمعات أكبر تحمل خصائص تميز كل طبقة اجتماعية عن أخرى.

وعلى الرغم من الاختلاف حول بدايات العلم وأسسه وقواعده الذي يدرس العلاقات الاجتماعية والمجتمع عموما ككل إلا أن هذا الفرع من فروع العلم يهتم بدراسة البناء الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية، والنظم الاجتماعية، والتغيير الاجتماعي، والظواهر الاجتماعية وهو بهذا يتناول الفرد من حيث طبيعته الاجتماعية.

ولما كان الإعلام يحمل عناصر أساسية للاتصال ولا يمكن أن يتم بدون مجتمع

يوجه إليه رسالة من خلال استخدام وسائل إعلامية عديدة تتطور بتطور تقنياتها، يستخدمها جمهور معين، فإن هذا المجال لا يمكن أن ينفك عن المجال الاجتماعي وعلم الاجتماع. ويلاحظ أنه كلما تطور علم الإعلام كلما ظهرت مدى ترابطه وتوافقه مع علم الاجتماع، ولذلك فإن علم الاجتماع الإعلامي يتعلق بكل موضوعات علم الاجتماع ولكن ما يخص الجانب الإعلامي فيه. وطالما قبلنا أنه علم إذًا لابد أن يتصف بجميع صفاته من موضوعية ودقة، واستخدام مناهج علمية للبحث فيه، وقابل للتحليل والوصول إلى نتائج تستخدم لتطوير هذا الفرع من فروع العلم سواء ما يتعلق بأساليب المرسل التي يتبعها، أو في تنوع وتطور الرسائل الإعلامية، أو في تطور تقنيات وسائل الإعلام وزيادة كفاءتها، أو في زيادة قدرة الجمهور أو المستخدمين على الاستفادة من الرسائل الإعلامية لتطور سبل حياتهم وبالتالي في التأثير في عملية الإعلام ككل.

ويضع هذا الكتاب مجموعة من الأسس النظرية التي توضح مدى وأبعاد التداخل والترابط بين علم الاجتماع وعلم الإعلام وخاصة ما يتعلق بالتغيير الاجتماعي، والظواهر الاجتماعية، والعمليات الاجتماعية، وتطور النظريات الإعلامية المفسرة لها. ويتناول موضوعات أساسية لسيسيولوجيا الإعلام والتي تتيح إعطاء بعض التفاصيل النظرية والتطبيقية المتعلقة بوسائل الإعلام كظاهرة اجتماعية، ووسائل الإعلام كنسق أو نظام اجتماعي، والأنساق الحديثة لوسائل الاتصال، والإعلام والتغيير الاجتماعي، والإعلام والعلاقات الاجتماعية.

ومثل هذه الموضوعات تضع القارئ على الخطوط الأساسية والنظرية التي يستطيع من خلالها التعرف على مدى اختلاف وسائل الإعلام باختلاف المجتمعات، وتصور وسائل الإعلام كنظام أو نسق اجتماعي له دوره ووظائفه وله قدرة على التأثير والتأثر بباقي النظم الاجتماعية المحيطة بالفرد. ويعطي تصورًا

لعناصر النظام الإعلامي لتقريب الصورة حول هذا النظام والعلاقات الداخلية من عناصره ووظائفها وترابطها وأهمية بعضها لبعض.

وقد كان لتطور وسائل الاتصال الحديثة حدوث تغيرات في النسق الاجتماعي لهذه الوسائل، وتغير في طريقة إرسال الرسالة واستقبالها وطرق التأثير على الجمهور وتطورت كذلك الرؤية النظرية لهذه الأنساق الحديثة، ولهذا التطور لا تنفصل عن أصولها أو عناصر الاتصال الأساسية وربما شملت العديد من أنظمة الاتصال والإعلام وكان لها سمات أكثر اتساعًا وتنوعًا وتخصصًا وسرعة في التأثير، وربما دعا ذلك إلى تسمية المجتمعات بخصائص هذه التقنيات الاتصالية، حيث يذهب البعض إلى تسمية المجتمعات الحديثة بالمجتمعات الرقمية Digital Society .

وظهرت مداخل نظرية عديدة توضح العلاقة بين عناصر الاتصال ودرجة تأثيرها وكيف تعمل في الإطار الاجتماعي. ومدى قدرة التقنيات الحديثة في الاتصال إلى الاقتراب من خصائص الاتصال الشخصي، ثم قدرة وسائل الإعلام على إحداث التغيير في المجتمع ببث أفكار حديثة، والتأثير في العلاقات الاجتماعية ودور قادة الرأي في ذلك كوسيط بين الرسالة الإعلامية والجمهور.

ويعرض الكتاب مجالاً أساسيًا من مجالات الدراسة في علم الاجتماع الإعلامي وهو الدور الوظيفي لوسائل الإعلام وكيف تتعدد هذه الوظائف وتتنوع بتنوع وسائل الإعلام وتتطور بتطورها، وتتغير بتغير الجمهور وتطوره الثقافي والعلمي وبتعدد اتجاهاته ومتطلباته، وبتطور المجتمعات، ويتم استعراض هذا الفصل من جوانبه النظرية والتطبيقية والتي تضع القارئ على رؤى العلماء لهذه الوظائف، واختلاف هذه الرؤى تبعًا لتوجهات العلماء فمنهم من يركز على قدرة وسائل الإعلام على تبادل الآراء والتدعيم للمعايير الاجتماعية السائدة، ومنهم من يرى أن

وظائفها ترتبط بالبيئة وترابط أفراد المجتمع ونقل التراث الاجتماعي، ومنهم من يركز على وظائفها للجمهور مثل الإعلام وتحقيق التماسك الاجتماعي والتواصل الاجتماعي، والتعبئة العامة ومنهم من يرى وظيفتها في تطوير مفاهيمنا والتماس المعلومات وتيسير التفاعل الاجتماعي، ولتوضيح الدور الوظيفي لوسائل الإعلام تم تناول الصحف ودورها الوظيفي في المجتمع وكذلك المجلات كنموذج لوسائل الإعلام، ولتأكيد وتدعيم هذا الجانب تم الاستعانة ببعض النظريات التي تفسر هذه الوظائف. فمنهم من له نظرة نقدية، ومنهم من له نظرة تطورية لهذه الوظائف.

ومن المعلوم أن كل وسيلة ليست خيرًا مطلقًا أو شرًا مطلقًا وإنما قد تحقق وظيفتها للمجتمع وقد تفشل أو تقصر وذلك لأسباب عديدة ترتبط بجميع عناصر الاتصال وما يحيط بها من مستجدات اجتماعية محلية وقومية ودولية.

لذلك فإن هذا الجانب كان له ما يوضحه من خلال تناول بعض الجوانب السلبية لوسائل الإعلام الخاصة بالوظيفة الثقافية، والوظيفة الإعلامية أو الإخبارية، والوظيفة الترفيهية.

وتعتبر دراسة تأثيرات وسائل الإعلام من أهم أركان عملية الاتصال ولعلها أكثرها صعوبة، وتتعدد النظريات المفسرة لها فمنها من يرى أن هذا التأثير يأتي مباشرًا، ومنهم من يرى أن وسائل الإعلام تؤثر بشكل انتقائي على الجمهور وذلك حسب درجة وعيه وإدراكه للرسالة الاتصالية، ومنهم من يرى إمكانية وسائل الإعلام على التأثير في الجمهور ولكن بشكل غير مباشر، ويتم تدعيم هذا الجزء -لتوضيح هذه النظريات جميعًا- من خلال الدراسات الميدانية وخاصة ما يتعلق منها بالتليفزيون والدش والإنترنت والحاسب كوسيلة اتصال، ثم تختتم هذه التأثيرات بتأثير الإعلام على الثقافة اللغوية ولغته الحديثة.

وبهذا يكون الكتاب قد اتبع منهجًا أساسيًا في تناول موضوع علم الاجتماع

الإعلامي وهو وضع الأساس النظري والتطبيقي لهذا العلم وموضوعاته ثم توضيح مجالين أساسيين له وهما الوظائف والتأثيرات.

ولم يغفل الكتاب تناول الموضوعات الحديثة التي توضح تطور التقنيات الاتصالية فلم يركز الكتاب على وسائل الإعلام التقليدية بل وضع القارئ على أحدث التأثيرات الخاصة بالتقنيات الحديثة لوسائل الإعلام والاتصال وتبادل الجوانب النظرية والتطبيقية لها.

والله الموفق